مجلة كلية الآداب
"دوريَّةٌ – أكاديميَّةٌ – علميَّةٌ – مُحَكَّمةٌ"
عدد (٤٠) مارس ٢٠١٦م ص ص: ٣٩١ - ٤١٧
جامعة سوهاج
كلية الآداب

زخارف المنازل بمدينة غدامس القديمة في ليبيا

د. عاطف على عبد الرحيم مرزوق (*)

ملخص البحث

تعد مدينة غدامس القديمة من الأمثلة القليلة الباقية في ليبيا التي تعتبر نموذجاً للمدينة الإسلامية التقليدية، والتي ما زالت محتفظة بطابعها الأصيل، المستمد من التراث العربي الإسلامي الذي ظهر في شكلها العام، والذي يمتاز بالتماسك ووحدة الأجزاء، وقد صنفت منظمة اليونسكو مدينة غدامس القديمة على أنها ثالث أقدم مدينة آهلة بالسكان في العالم، وكمدينة تاريخية ومحمية من قبل المنظمة. وتهدف الدراسة إلى القاء الضوء على جانب مهم وهو زخارف المنازل في المدينة القديمة، ومعرفة أنواع الزخارف التي استخدمها أهل غدامس، وطرق تنفيذ هذه الزخارف، والمواد الخام المستخدمة، والألوان وكيفية تحضيرها، ومن الذي كان ينفذ هذه الزخارف. بالإضافة إلي محاولة معرفة أثر التراث الغدامسي على هذه الزخارف.

مدينة غدامس: تقع إلى الجنوب الغربي من طرابلس بنحو ٦٠٠ كم، عند نقطة حدودية تتلاقى فيها حدود كل من تونس، والجزائر، مع الحدود الليبية[١]. ذكرها كثير من الرحالة والمؤرخين في كتاباتهم، فيقول عنها البكري،" غدامس مدينة لطيفة، كثيرة النخل والمياه، وأهلها بربر مسلمون، وأكثر طعام أهل غدامس التمر"[٢]، وتدبغ فيها الجلود الغدامسية[٣]، وهى من أجود الدباغ، لا شيء فوقها في الجودة، كأنها ثياب الخز في النعومة والإشراق[٤]. ولا يعرف على وجه التحديد زمن تأسيس المدينة، وتذكر كثير من الكتابات أنها معمورة منذ عصور ما قبل التاريخ، وفى سنة ١٩ ق.م احتلها الرومان، وبقيت تابعة لهم حتى الفتح الإسلامي[٥]، الذى تم على يد القائد عقبة بن نافع سنة ٤٢هـ، عندما غزا افريقية، فافتتح غدامس[٦] .

(*) مدرس التصوير والآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة سوهاج.

١- سعيد على حامد، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص١٨١.

٢- البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز محمد،(ت ٤٨٧هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، الجزء الثاني، ص٨٨١.

٣- اشتهرت غدامس منذ القدم بصناعة الجلود وزخرفتها، وانتقلت منها هذه الصناعة إلى بلاد المغرب، ثم إلى اسبانيا. للاستزادة انظر:

Joanna Banham, Encyclopedia of Interior Design, Routledge, London, 1997, volume 1-2,p 705.

وعن التذهيب في هذه الجلود راجع:

Franklin Pereira, Gilt Leather Guadameci in Coimbra, Boletin do Arquivo da Universidade de Coimbra, xxv 2012, pp 169-180.

٤- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي،(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، الجزء الرابع، ص١٨٧.

٥- الطاهر احمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م، ص٩٢.للأستزادة عن فتح غدامس راجع: ابن الأثير، أبو الحسن على بن أبى أكرمبن محمد الشيباني الجزري،(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، الجزء الثالث، ص٤١٧؛ ابن عذارى المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد،(ت٦٩٥هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، الجزء الأول، ص١٥.

٦- ابن عساكر، أبو القاسم على بن الحسن ابن هبة الله، (ت٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، ، الجزء الأربعون، ص ٥٣١.١٩٩٥

وتدين غدامس في نشأتها لوجود عين ماء غنية منذ القدم هي عين الفرس لوحة(١)، والتي كانت السبب في استمرار الحياة فى المدينة، ويتم توزيع المياه بقدر متعارف عليه بين السكان[١]. ولقد اشتهر أهل غدامس منذ زمن بعيد بالتجارة، نظراً لموقعها الاستراتيجي عبر الصحراء، وتشتهر المدينة بعدة صناعات، منها ما يقوم على الجلود، وأخرى على النخيل والنحاس والفخار[٢]،وسكان غدامس مزيج من الطوارق والأمازيغ والعرب والأفارقة، وهم مشهورون بحبهم للعلوم والدراسات بشتى مجالاتها، وشيدوا مدينتهم على طراز معماري مميز[٣].

لوحة (١)

وصف المدينة

تمثل مدينة غدامس القديمة نموذجاً من العمران التقليدي[٤]، حيث احتفظت هذه المدينة بقطاع مهم من نسيجها العمراني، ومنشأتها المعمارية[٥]، كما تحتفظ بالعديد من الآثار الإسلامية المتمثلة في جوامعها ومدارسها القديمة، فقد شيدت وسط منطقة صحراوية، وراعى أهلها الظروف البيئية، لذلك عمدوا إلى أن تكون أغلب طرقها مسقوفة، مع وجود فتحات متعددة ومتباعدة للإضاءة والتهوية، إضافة إلى كونها متعرجة بما لا يسمح للتيارات الهوائية المحملة بالأتربة بالتعمق فى وسطها[٦].

وجدير بالذكر أن مدينة غدامس تعد المدينة الوحيدة المسقوفة فى صحاري العالم، فهي تتسم بمناخ خاص مختلف عما هو سائد في البيئة المحيطة بغدامس[٧]، حيث يبلغ الفرق بين درجات الحرارة داخل المباني الصغيرة بالمدينة نحو عشر درجات مئوية خلال السنة، وتصل درجة الحرارة خارج المباني إلي حوالي ستين درجة مئوية[٨]. وغدامس كأي مدينة قديمة لها سور وبوابات، وهذا يعد طبيعة سياسية للمدن، وقد يكون السور عبارة عن حزام أخضر الغرض منه الحماية من الرياح، وهذا ما كان لمدينة غدامس حيث

١- سعيد على حامد، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، ص١٨١-١٨٢.

٢- عزت على خيرى، غدامس جوهرة الصحراء، مجلة آثار العرب، العدد الخامس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م، ص ١١١.

3-www.lakii.com last visit 24-9-2015.

٤- عن أنماط العمارة التقليدية راجع: سعد عبد الكريم شهاب، أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية، دراسة تحليلية مقارنة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٥- محمد عبد الستار عثمان، دراسات في العمارة التقليدية في المنطقة العربية، المصرية للتسويق والتوزيع، ٢٠١٢م، ص٢٥٨.

٦- سعيد علي حامد، معالم الحضارة الإسلامية، ص ١٨٥.

٧- نجح المسلمون في التصدي للمشكلات المناخية التي واجهتهم عند إقامة مدنهم ومبانيهم في المناطق الصحراوية، وتمكنوا من خلال الاعتماد على الموارد والطاقات الطبيعية المتجددة والمتوفرة فى البيئة، من تحقيق عدة أهداف، منها الحماية من الإشعاع الشمسي، والعمل على تحريك الهواء، وتنظيم درجة الحرارة ليلا ونهارا، تحقيق التهوية الطبيعية، للاستزادة راجع : يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، العدد ٣٠٤، ٢٠٠٤م، ص ٩١-٩٢.

٨- احمد محمود أمين، سمات عمارة المساكن التقليدية بمدينة غدامس الليبية في العصر العثماني: منزل دا بابانى أنموذجاً، بحث مقبول النشر، مجلة كلية الآداب، جامعة اسيوط، ٢٠١٥م،(نسخة من الباحث).

أنها محاطة بغابات من النخيل، ثم يأتي السور الذي يحيط بها من جميع الجهات، وللمدينة سبع بوابات، كانت فى الماضي تغلق ولا تفتح إلا في الصباح، ما عدا باب الظهرة الذي كان عليه حارس يفتحه ليلاً لسكان المدينة الذين يتعرف عليهم[١].

أما عن التقسيم الاجتماعي والعائلي في غدامس، شكل(١) فتنقسم المدينة إلي محلتين هما بنو وليد، وبنو وازيت، وتنقسم كل محلة إلي مجموعة من الشوارع، والشارع الغدامسي هو مجموعة من الناس انحدروا من أب واحد ويسكنون بالقرب من بعضهم البعض، وهناك آخرون وفدوا بعدهم وسكنوا معهم وتسموا بأسمائهم[٢].

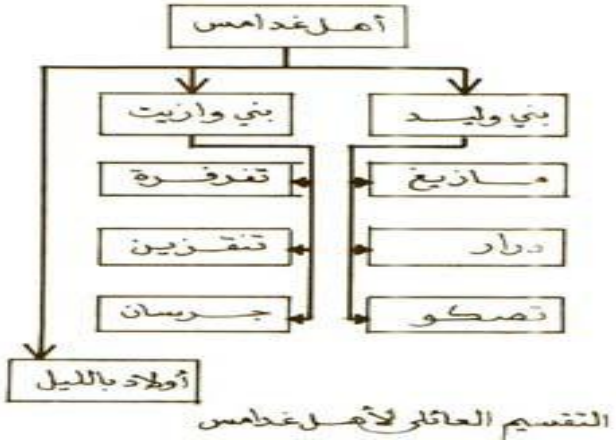

التقسيم العائلي لأهل غدامس

شكل (١)

المنازل

يعتبر المنزل الغدامسي احد النماذج المعمارية النادرة، التي عُمرت منذ القرن الخامس عشر الميلادي، والتي لا زالت باقية بتخطيطها المعماري القديم، لوحة (٢)، ولم تتأثر بالتطورات المعمارية إلا قليلاً[٣]، وبلغ عدد المنازل في المدينة القديمة حوالى (١٠٨١) منزلاً[٤]، مقسمة على الشوارع السبعة، أكبرها شارع تصكو به (٢٤٧) منزلاً[٥]. وتؤرخ معظم مساكن المدينة القديمة بغدامس بأحيائها الستة (مازيغ- درار- تصكو- تغرفرة- تنقزين-

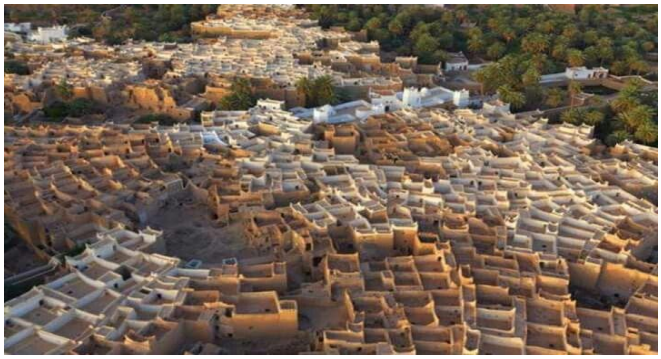

لوحة (٢)

١- عزت على خيري، غدامس جوهرة الصحراء، ص ١١٣.

2- www.mirathlibya.blogspot.com.eg last visit 23-9-2015.

٣- خالد مصطفى أفتيته، العمارة في مدينة غدامس الليبية،

www.archiciv.com/vb/archiciv208. last visit 26-5-2016.

٤- هناك عدد من المنازل ما زالت محتفظة بطابعها المعماري القديم، مثل منزل الثني، ومنزل ماجورا، ومنزل زاميت، للمزيد عن هذه المنازل من الناحية المعمارية انظر:

Abubarker Shawesh, The Impact of Hot-Dry climate on Housing, FORUM, vol.2, 1993, p 43.

٥- احمد قاسم ضوي، غدامس بين الماضي والحاضر، www.tawalt.com - last visit 26-10-2015

جرسان) بالعصر العثماني، وهناك نماذج تعود إلى ما قبل العصر العثماني[١].

وتجدر الاشارة إلى أن معظم المنازل الغدامسية تتكون في الأغلب من ثلاثة طوابق، تنتهى من أعلى بشبكة من الطرق متصلة ببعضها، مما يكون متنفساً كبيراً للنساء اللاتي لا يتجولن بالشوارع وأزقة المدينة، بحكم التقاليد الاجتماعية، فيجتمعن على اسطح المنازل[٢]، التي تتشابه مع بعضها البعض من حيث التصميم، واهم ما يميز المنزل الغدامسي هو وسط الدار– التمانحت– الذي يعد مكان الجلوس لأفراد الأسرة، والمعبر عن وضع الأسرة الاجتماعي والاقتصادي، من خلال ما يزدان به من زخارف وتحف ومرايا، معلقة على الجدران[٣].

ويتراوح ارتفاع المنازل الغدامسية ما بين عشرة أمتار إلى ثلاثة عشر متر، وتطلى الجدران الخارجية باللون الأبيض، أما المنطقة العلوية من الجدار فيستخدم الجبس في تغطيتها، وتشكل واجهات المنزل العلوية بالأشكال المثلثة[٤]

وسيتم من خلال الدراسة التعرض لعدد من المنازل الغدامسية[٥]، وذلك من ناحية الزخارف التي استخدمت في هذه المنازل، وأنواعها، وتصميماتها، والوانها، إلى غير ذلك من التفاصيل المرتبطة بهذه الزخارف.

أولاً: منزل داج مقورن، الواقع في زقاق مصرعين، بشارع تنقزين.

هو أحد المنازل الموجودة بالمدينة القديمة، ولا تزال حالته المعمارية جيدة، من حيث التخطيط، وطوابق المنزل، والحجرات، والأسقف، والأبواب، والنوافذ، أما بالنسبة للزخارف الخاصة بالمنزل، والمتركزة في وسط الدار فقد أصابها بعض عوامل التلف، بعضها ناتج عن العمر الزمني الطويل نسبياً للمنزل، والبعض بسبب سقوط الأمطار–النادر–على المدينة، وعدم الأخذ بأسباب الصيانة السريعة، بسبب هجران المنزل والانتقال للمدينة الجديدة.

1- Nahla Adel, Bio-climatic Architecture in Libya, Master, Middel East Technical University, 2007,p 69

وانظر

Laila Hamed, and Others, Ancient Adobe for Modern Sustainability Solutions from and for Ghadames. www.irbent.de last visit 25-5-2016

واحمد أمين، سمات عمارة المساكن التقليدية، ص ٤

٢- عبد اللطيف عبد السلام قلال، المرشد المؤنس لزائر غدامس: المدينة القديمة، ترجمة عبد السلام بادله، د ن، ٢٠٠٨، ص١٣.

3- Abufayed, A., Urban Planning and Architecture of Historic city of Ghadames, Structural Studies, Repairs and Maintenance of Heritage Architecture IX, 2005,p 7. On www.witpress.com.

٤- خالد مصطفى أفتيته، العمارة في مدينة غدامس الليبية، www.archiciv.com

٥- تم زيارة هذه المنازل وتصويرها من خلال زيارة ميدانية إلى مدينة غدامس الليبية، وذلك فى شهر أبريل ٢٠١٤م.

لوحة (٣)

وتتوزع زخارف المنزل على جدران قاعة وسط الدار، على أن اهم هذه الزخارف تقع على الجدار المواجه لسلم المنزل، الذى يصل الطابق الأول بالثاني، والزخرفة الرئيسية بهذا الجدار تشبه مربعات الشطرنج، لوحة (٣) التي نفذت على طبقة من الجص، وتبدأ الزخرفة بعد ارتفاع ما يقرب من سبعين سنتيمتر أعلى أرضية القاعة، لتمتد بارتفاع متر تقريباً، وذلك بعرض جدار القاعة، على شكل مربعات وضعت في صفوف منتظمة، باللونين الأبيض والأخضر الداكن، ولا يزال عدد كثير من هذه المربعات بحالة جيدة.

لوحة (٤)

وأعلى باب غرفة الزواج المطلة على وسط الدار، يوجد ثلاث مربعات جصية، تم تثبيتها في الجدار، ازدانت بالزخارف الهندسية المفرغة، والتي اصاب التلف اجزاء منها، فنجد الموجود ناحية اليمين لوحة(٤)، يتوسطه دائرة فرغت اجزاء من خارجها من أعلى ومن أسفل، على هيئة اشكال هندسية مثلثة، وأعلى الدائرة توجد عدة فتحات مفرغة، تأخذ الشكل الدائري تقريباً، كما يوجد بأسفلها فتحات مفرغة، نظمت في صفوف ثلاثة بعرض اللوحة الجصية، وقد تباينت اشكالها ما بين الدائرة والمعين والمثلث.

لوحة (٥)

أما المربع الأوسط لوحة (٥)، والذي أصاب التلف اجزاء من زخارفه، فيظهر منها فى وسط المربع الجصي شكل سداسي تقريباً، فرغت بعض المساحات المحيطة به، الموجودة عن اليمين واليسار بها أشكال أعمدة، ومن أعلى وأسفل مجموعة من الفتحات، موزعة في صفوف عرضية، تأخذ اشكال المعينات أو المثلثات، مختلفة الاحجام، كما تظهر آثار زخارف غير واضحة منفذة باللون الأحمر، على المربع الجصي، والجدار الملاصق له.

أما المربع الموجود ناحية اليسار لوحة (٦)، فحالته الزخرفية جيدة نسبياً، حيث امتلأت مساحة كبيرة منه بالزخارف الهندسية، التي تشابهت إلى حد كبير مع تلك الموجودة في المربع الأوسط، والتي غلبت عليها الأشكال الهندسية، وتظهر بعض آثار لألوان على بعض هذه الزخارف، يمكن تمييز اللون الأحمر من بينها.

لوحة (٦)

كما توجد اجزاء من بعض الزخارف الجصية لوحة(٧)، نجدها أعلى كوة موجودة إلي اليمين من حجرة الأطفال المطلة على وسط الدار، يظهر منها جزء من دائرة، لها اطار عريض احمر اللون، ويحف بالإطار من الخارج أنصاف دوائر متماسة، استخدم فيها اللونين الأحمر والأخضر بدرجات داكنة، أما داخل الدائرة فتوجد بعض الزخارف غير الواضحة، لأن عوامل التلف أصابت اجزاء كبيرة منها، ونفذت تلك الزخارف بنفس الألوان السابقة.

لوحة (٧)

ثانياً: منزل رقم (٩٩)

أحد المنازل الموجودة في حي تنقزين، ويمتاز هذا المنزل بأن زخارفه الأصلية قد حفظت بشكل كبير، لوحة (٨) وذلك بسبب تغطيتها بطبقة من الجص، تم رفعها بعناية مؤخراً بمعرفة القائمين

على المدينة، وتشتمل بصورة رئيسية على زخارف هندسية، ونباتية، وبعض الرموز والعلامات، وأعلى وأسفل هذه الزخارف توجد بعض الكوات الخاصة بوضع الأواني.

لوحة (٨)

وتوجد الزخرفة الرئيسية لهذا المنزل في قاعة وسط الدار، على جدار واحد فقط، وهو في الغالب المواجه لسلم الصعود للدور الثاني، وكان الهدف من ذلك أن تكون هذه الزخارف هي أول شيء تقع عليه عين الزائر الداخل للقاعة. وتبدأ الزخارف على ارتفاع ما يقرب من سبعين سنتيمتر من أرضية القاعة، وارتفاع الزخرفة ما يقرب من متر، أما عرضها فهي تمتد بعرض جدار القاعة.

وقوام هذه الزخرفة المنفذة بالحفر على الجص نجمتين ثمانيتين، تتوزع حولهما مجموعة من العناصر الزخرفية والرموز، وذلك في شكل يكاد يكون متطابق بين النجمتين، حيث تم حفر النجمة الأولى والعناصر التي حولها، ثم تم عمل نسخة أخرى من هذه الزخارف إلى جوارها، وتظهر النجمة الثمانية لوحة (٩)، وقد ركبت من مربع في مركزها لوحة (١٠)، حوله ثلاث إطارات، وبداخل المربع توجد دائرة بها وريدة من ستة فصوص ذات هيئة مثلثة الشكل ناحية مركز الدائرة، أما رؤوس النجمة فنفذت من مثلثات أغلبها متساوي الأضلاع، حولها ثلاث إطارات، تزدان من داخلها بمجموعة من الزخارف الهندسية، أغلبها ذات شكل مثلث.

لوحة (٩)

لوحة (١٠)

وتوجد مجموعة من العناصر الزخرفية والرموز في المساحات البينية لرؤوس النجمة، فمن أعلى ناحية اليمين واليسار حُفر شكل يقترب في هيئته من الصليب، في مركزه شكل معين يخرج من رؤوسه الأربع زيادات للخارج، أطولها السفلى وفيما بين الزيادات توجد زخارف مثلثة الشكل. أما في الوسط ومن أسفل ناحية اليمين واليسار، زخرفة مكررة على شكل دائرة بداخلها أشكال هندسية مثلثة الشكل، ويوجد شريط به زخارف هندسية، يمتد أعلى رؤوس النجمة الأربعة من أسفل، كما تتوزع بعض الرموز والعلامات والعناصر الزخرفية الأخرى حول النجمة، كشكل الصليب المتساوي الأضلاع ذات النهايات المثلثة لوحة (١١)، وشكل نصف الدائرة التي يتوسطها تجويف، ترمز إلي العين كما يعتقد أهل غدامس لوحة (١١)، بالإضافة إلى بعض العلامات مثل حرف (K) المتدابر لوحة (١١).

لوحة (١١)

ومما تجدر ملاحظته أنه يوجد إلى اليمين من النجمة الثمانية عدة زخارف أخرى، تم تنفيذها هي الأخرى بالحفر على الجص، واستخدم في تحديد الزخارف اللون البرتقالي، أما اللون الأحمر فكان هو المسيطر على أغلب الزخارف في المنزل بصفة عامة. ومن هذه الزخارف نجد شكل الراية أو العلم، المكون من قائم يمتد في وضع أفقي، وفي نهايته مساحة مربعة الشكل، زخرفت بخطين متقاطعين لوحة(١٢)، كما تظهر زخرفة أخري مميزة، على هيئة دائرة تمتلأ من الداخل بالأشكال الهندسية أبرزها المثلثات، يعلوها رقبة طويلة، يحف بها من الجانبين زخرفة زجزاجية، ومن حلية مثلثة الشكل، لوحة (١٣) شكل(٢)، وتشبه هذه الزخرفة نبات القورا[١] المفضل بين أهل غدامس.

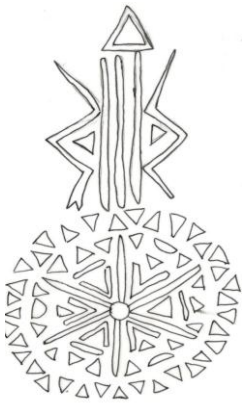

لوحة (١٢) لوحة (١٣) شكل (٢)

ويوجد بين هذه الزخرفة التي تشبه نبات القورا، وبين رؤوس النجمة الثمانية المجاورة لها، زخرفة تقترب في هيئتها من شكل الصليب لوحة (١٤)، ولكن مع بعض الاختلاف قليلاً، إذ أن أضلاعه الثلاث الجانبيان والعلوي ذات أطوال متساوية تقريباً، تنتهي في أطرافها بحليات مثلثة، أما الضلع السفلي فهو طويل نسبياً نفذ بأسلوب زخرفي، من مجموعة من الأشكال الهندسية من المعينات والمثلثات. وإلى أسفل هذا الشكل الزخرفي، توجد زخرفة لنصف دائرة مكونة من اطار يمتلأ بمجموعة من المثلثات لوحة(١٥)، ويتوسط هذه الزخرفة من الداخل شكل صليب متساوي الأضلاع تقريباً، ينتهي بمجموعة من الحليات المثلثة، وهذه الزخرفة متكررة بنفس الهيئة في أكثر من موضع وسط باقي الزخارف.

لوحة (١٤) لوحة (١٥)

١- انظر الدراسة التحليلية عن نبات القورا.

كما توجد عدة زخارف أخرى متنوعة، منها زخرفة ذات شكل هرمي مركب من ثلاث مثلثات متداخلة، ينتهي من أعلى بشكل معين لوحة (١٦)، أيضاً هناك زخرفة تشبه شكل البندقية، لها حامل على هيئة نصف دائرة، نفذت ثلاث مرات، والملاحظ أنها كانت دائماً تنفذ من أعلى الزخارف لوحة (١٧)، كذلك زخرفة تشبه شكل الشمعة ذات اللهب، حفرت في أماكن متفرقة وسط الزخارف، ويحف بها من الجانبين أشكال هندسية على هيئة مثلثات لوحة (١٨).

لوحة (١٦)

لوحة (١٧)

لوحة (١٨)

ويحيط بهذه التكوينات الزخرفية من أسفل اطار عريض يمتد بعرض الجدار، مقسم إلي مجموعة من المربعات بها زخارف هندسية متباينة، أبرزها أشكال المثلثات والمعينات، ونفذت الزخارف داخل هذه المربعات بطرق مختلفة، إذ أن بعضها نفذ بشكل طولي، والبعض بشكل عرضي، ومنها ما هو على شكل خطوط متقاطعة لوحة(١٩)، ويحف بهذه المربعات من أعلي وأسفل خطين متجاورين يمتدان بعرض الزخرفة.

لوحة (١٩)

منزل رقم(١٣٢) لوحة(٢٠)

يقع هذا المنزل في حي جراسان، والمنزل بحالة جيدة إلا بعض الجدران التي تهدمت اجزاء منها، كما أصابت بعض مظاهر التلف الزخارف الموجودة على الجدران، نتيجة هجرة أهل المنزل للمدينة الجديدة، وسقوط بعض الأمطار. ونفذت الزخارف بأسلوب الحفر على الجص، أما الألوان المستخدمة في هذه الزخارف فقد أصاب التلف بعض منها، وكان اللون الأحمر هو

لوحة (٢٠)

الذي نفذت به أغلب الزخارف، بالإضافة إلي البرتقالي الذي كان يستخدم في الأغلب في تحديد الحواف الخارجية للزخارف، أما الأصفر فنجده بنسب قليلة في الفراغات المحفورة بين الزخارف، أيضاً يظهر اللون الأخضر في الزخارف الجانبية التي تحف بالمستطيل الكبير، في اشكال الورود المنفذة على هيئة دائرة، وأنصاف الدوائر والإطار القريب منها، في حين نجد اللون الأبيض قد استخدم كأرضية لمجموعة الزخارف الموجودة في أركان الشكل الصليبي المنفذ علي الجدار.

وتتركز معظم زخارف المنزل في قاعة وسط الدار، حيث توجد الزخرفة الرئيسية في الجدار المقابل لفتحة السلم الموصل للدور الثاني الموجودة به هذه القاعة، وتبدأ علي ارتفاع ما يقرب من سبعين سنتيمتر تقريباً من أرضية القاعة، ثم تبدأ الزخرفة بارتفاع متر تقريباً، وتمتد بعرض الجدار، على شكل مستطيل كبير مقسم من الداخل إلي ثلاث مساحات، تشابهت الزخارف الموجودة بهم بدرجة كبيرة، ويمكن تقسيم الزخارف على النحو التالي.

المساحة الموجودة ناحية اليمين: لوحة(٢١)، يظهر بها زخرفة على شكل صليب متساوي الأضلاع، في مركزه مربع به أكثر من اطار، تزدان بزخارف هندسية أغلبها مثلثات، وبداخل المربع دائرة بها شكل وردة من ستة بتلات[١]، أما الأضلاع فبها زخرفة اساسية متكررة على هيئة خطين متقاطعين، نتج عن تقاطعهما أشكال هندسية مثلثة، في قاعدة كل مثلث حفرت نصف وردة من أربع بتلات، في هيئة نصف دائرة. ويحيط بهذه الزخارف من أعلى ومن أسفل أو من الجانبين على حسب موضع أضلاع الصليب، أشرطة زخرفية إحداها به زخرفة زجزاجية، وبعضها نفذت به زخارف هندسية مثلثة الشكل. أما المساحات المحصورة بين أضلاع الصليب فنجد بها ناحية اليمين من أعلى،

شكل ابريق له قاعدة وبدن ورقبة ويد يحمل منها، وفوهة يُصب منها الشراب، ويزدان الابريق من الداخل بمجموعة من الزخارف الهندسية، وعلى مقربة من الابريق وفي ركن الزخرفة الرئيسية الموجودة على الجدار، يخرج فرع نباتي، مكون من ساق وثلاث وردات، نفذت كل واحدة على شكل دائرة لوحة(٢٢).

لوحة (٢١)

لوحة (٢٢)

١- عن مراحل تفتح الزهرة أو الوردة، وتصنيفاتها، وأمثلة عليها، انظر: عبد الناصر ياسين، الزهرة المتفتحة متراكبة الأوراق على ضوء زخارف الفنون التطبيقية المملوكية في مصر والشام، مجلة العصور، المجلد التاسع عشر، الجزء الثاني، يوليو ٢٠٠٩م،ص ص ١٦٤-١٨٠.

أما في الجهة المقابلة لزخرفة الإبريق، نجد زخرفة لإبريق مشابه لنظيره السابق، وأمامه كأس شراب، وعلى جانبي الإبريق توجد زخرفة لعلها دوارق شراب لوحة(٢٣)، لها قاعدة ثلاثية وبدن مزدان بالزخارف، ثم رقبة مفتوحة من أعلى. وعن الجزء السفلي المحصور بين أضلاع الصليب ناحية اليمين واليسار، فزخارفه متشابهة بدرجة كبيرة، عبارة عن زوجين من السيوف المتقاطعة، أحدهما من النوع المستقيم، والأخر من النوع المقوس، بينهما زخرفة تشبه شمعدان الإضاءة، له أرجل يرتكز بها على الأرض، ثم بدن بصلي يزدان بالزخارف، يليها رقبة بها من أعلى حلية مثلثة تشبه قمة الشمعة ذات اللهب، لوحة(٢٤).

لوحة (٢٣)

لوحة (٢٤)

المساحة الوسطى من المستطيل: لوحة(٢٥)، فهي مربعة تقريباً وزخارفها تكاد تكون متطابقة مع زخارف المساحة الموجودة ناحية اليمين، إلا من بعض الاختلافات التي نلاحظها في الزخرفة الداخلية لأضلاع الشكل الصليبي، إذ ظهرت بها أشكال المعينات التي يتوسطها وردة متعددة البتلات لوحة(٢٦)، كما يلاحظ أن الزخارف الهندسية في إطارات الأضلاع أصبحت قليلة، ربما قُصد من وراء ذلك التنوع وابراز العناصر الزخرفية بصورة أوضح.

لوحة (٢٥)

لوحة (٢٦)

المساحة الثالثة الموجودة ناحية اليسار: لوحة(٢٧)، فنلاحظ أن الشكل الصليبي الموجود بها مشابه لنظيره في المساحة الأولى ناحية اليمين، إذ تمتلأ أضلاعه بالزخارف الهندسية من الداخل، وكذلك الإطارات المحيطة بأضلاعه، أما المساحة المحصورة بين الأضلاع من أعلى ناحية اليمين واليسار، فبها زخرفة تشبه دوارق الشراب، وفي الناحية اليمنى يوجد كأس بين الدورقين. أما في أسفل ناحية اليمين فنجد زخرفة على

شكل زوجين من السيوف المتقاطعة، وبينهما ما يشبه شمعدان الإضاءة، وعن الناحية اليسرى فيظهر فيها الشكل الذي يشبه الشمعدان ، وعلى مقربة منه زخرفة أخرى ربما هي أيضاً أحد أشكال وسائل الإضاءة لوحة(٢٨)، حيث ترتكز على ثلاثة أرجل على الأرض، أما الجزء الأوسط منها فيأخذ شكل حلقتين من هيئة الزخارف المجدولة، ومن أعلى رقبة طويلة مفتوحة من أعلاها، كما نشاهد عند نقطة التقاء إطاري الزخرفة شكل فرع نباتي من ساق وثلاث وردات متعددة البتلات.

لوحة (٢٧)

لوحة (٢٨)

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا المستطيل الزخرفي الكبير الموجود على الجدار، له إطار عريض يمتلأ بالزخارف المحفورة على الجص، وهذه الزخارف إما هندسية، أو نباتية من وريدات، أو مجدولة لوحة(٢٩) ، ونفذت هذه الزخارف داخل مربعات أو مستطيلات، وحرص المُنفذ لهذه الزخارف أن يكون بينها قدر من التنوع، وهذا واضح من طريقة وضع المربعات والمستطيلات الزخرفية، أما أركان المستطيل فبها مربع بداخلة وردة متعددة البتلات.

لوحة (٢٩)

ومما يستلفت النظر أنه يوجد على جانبي المستطيل الزخرفي تكوينات زخرفية محفورة على الجص أيضاً لوحة(٣٠)، عناصرها اثنين من أنصاف دوائر تحف بالإطار الافقي للمستطيل، وتمتاز بأن لها إطار عريض به زخارف مجدولة، وعلى مقربة من أنصاف الدوائر توجد دائرتان بوسطهما وردة سداسية البتلات شكل(٣)، والدائرة لها إطار عريض حفرت به صفوف من الزخارف الهندسية المثلثة الشكل، وفيما بين الدائرتين توجد زخرفة تشبه مقبض السيف، فى نهايتها شكل خماسي، وتمتد هذه الزخرفة إلى أن تصل إلى الإطار الافقي للمستطيل، ويزدان هذا الجزء بمجموعة من الأشرطة الزخرفية، بعضها به زخارف مجدولة، وبعضها به زخارف زجزاجية لوحة(٣١)، وترتبط هذه الزخرفة بالدائرتين عن طريق شريط زخرفي حفرت به زخارف هندسية. ومما يلاحظ على هذه التكوينات الزخرفية أنه يظهر بها بقايا ألوان، مثل اللون الأحمر، والبرتقالي، والأخضر، والأصفر.

لوحة (٣٠)

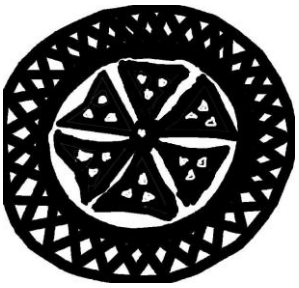

شكل (٣)

لوحة (٣١)

زخارف فتحات الأبواب لوحة (٣٢)

لوحة (٣٢)

توجد مجموعة من الزخارف أعلى فتحة أحد الأبواب الداخلية في المنزل، هيئتها مستطيلة، الزخرفة الرئيسية بها عبارة عن مجموعة من المربعات المتباينة الألوان، ما بين الأحمر، والأصفر، والبرتقالي، والأبيض، تشبه في ذلك الزخرفة الشطرنجية. وفي الوسط من هذه الزخرفة مساحة مستطيلة الشكل بها زخارف من خطوط حمراء متقاطعة، تكون فيما بينها معينات بيضاء اللون، ويحيط بهذه الزخارف إطار أحمر عريض أصاب التلف أجزاء منه، يزدان في حوافه بمجموعة من الزخارف الهندسية ذات الشكل المثلث، ويتوزع حول هذا الإطار مجموعة من الزخارف المتنوعة، منها ما هو نباتي محور، ومنها ما هو قريب من الشكل النجمي، وقد استخدم اللونين الأحمر والأصفر في تلوين هذه الزخارف.

زخرفة النتوءات واللوحات الجصية المثبتة على الجدران لوحة (٣٣)

يوجد أعلى الزخرفة الرئيسية الموجودة على أحد جدران قاعة وسط الدار بعض النتوءات البارزة على الجدار، مكونة شكلاً زخرفياً هندسياً أقرب للمستطيل، ضلعاه الأطول يمتدان رأسياً، وعلى أحد أضلاعه الأفقية ناحية السقف، تبرز ثلاث نتوءات في هيئة مثلثة الشكل، وتمتاز هذه النتوءات بأن سطحها مقوس أقرب لنصف الدائرة. وبداخل هذا المستطيل ثبتت لوحة جصية، ازدانت بكثير من الأشرطة الزخرفية الهندسية المفرغة شكل(٤)، من أشكال مثلثات ومعينات ودوائر وأنصافها ومستطيلات، وزخارف زجزاجية، وخطوط طولية، بالإضافة إلى بعض الزخارف النباتية، الموجودة داخل الدوائر بوسط اللوحة الجصية على

هيئة وردة ذات أربع بتلات، وتلك الموجودة في الحشوات الجصية الثلاث بوسط اللوحة أيضاً، على هيئة وردة سداسية البتلات. واستخدم اللونين الأخضر والأصفر في تحديد بعض إطارات الأشرطة الزخرفية الموجودة داخل اللوحة الجصية.

لوحة (٣٢)

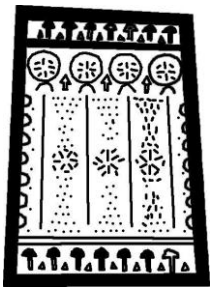

شكل(٤)

الأطباق الخزفية

يمتاز هذا المنزل عن المنازل الأخرى بأنه استخدمت فيه الأطباق الخزفية كوسيلة زخرفية لبواطن العقود، وسقف السلم الصاعد لقاعة وسط الدار. حيث كان يتم حفر مساحات على قدر هذه الأطباق، المكتملة منها وغير المكتملة، وبعد ذلك يتم تثبيتها بمواد لاصقة، وهذا اسلوب مميز له بعد جمالي، إذ أن الصاعد على السلم يصادفه في باطن القبو والعقود هذه الأطباق بألوانها وزخارفها الجميلة، مما يجعلنا نذهب بالقول إلى أن أهل هذا المنزل كانوا يتمتعون بحس جمالي، وزوق فني عالي. وقد ساعدت هذه السمة الجمالية أن تكون سبباً في حفظ عدد من الأطباق الخزفية حتى الأن، وفي حالة جيدة.

الطبق الموجود في باطن العقد لوحة (٣٤) شكل(٥)

طبق من الخزف العثماني[١]، غير مكتمل إذ فقدت أجزاء من حوافه، يزدان قاعه برسم دائرة بها مجموعة من الزخارف النباتية من أفرع وأوراق، بالإضافة إلى زهرة التيوليب ذات الشهرة على الخزف العثماني، ورسمت هذه الزخارف باللون الأحمر والأخضر والأزرق بدرجات شاحبة، ربما لعوامل الزمن، وذلك على أرضية بيضاء، أما حافة الطبق فهي عريضة نسبياً بها زخرفة القواقع، المنتشرة على الخزف العثماني، يفصل بينها زخرفة على هيئة حرف s وذلك باللون الأسود على أرضية بيضاء.

لوحة (٣٤)

شكل (٥)

الطبق الموجود في باطن القبو: لوحة (٣٥) شكل(٦)

طبق من النوع المرسوم بألوان متعددة تحت الطلاء، ويزدان قاع الطبق بمجموعة من الزخارف النباتية من وردتين متداخلتين، احداهما لها أربع أوراق عريضة تميل إلى الشكل اللوزي، وبوسط الأوراق ثلاث خطوط مستقيمة، أما الوردة الأخرى بها أربع زهرات بكل زهرة ثلاث فصوص، وحول هذه الزخارف رسمت دائرة من عدة خطوط، واستخدم اللون الأخضر الشاحب والأصفر الداكن والأسود في زخارف قاع الطبق، أما

١- انظر الدراسة التحليلية عن أسباب نسبة هذا الطبق إلى الخزف العثماني.

حافته فيظهر بها زوج من الخطوط الزجزاجية سوداء اللون، يقطعهما على مراحل مجموعة من الخطوط الأفقية ذات اللون الأخضر على أرضية بلون أصفر داكن.

لوحة (٣٥)

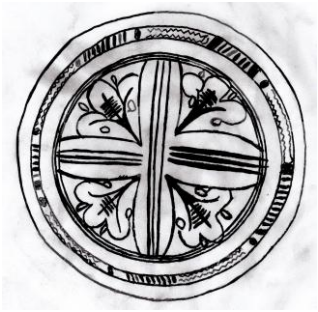

شكل (٦)

الدراسة التحليلية

المواد الخام

كانت المواد الخام المستخدمة في مدينة غدامس القديمة، سواء في المباني أو الزخرفة من نفس البيئة المحلية، مثل الأحجار، والجبس، والجير، وجذوع وسعف النخيل وغيرها[١]. ومن اشهر المواد الخام التي استخدمت في الزخارف الجبس والجير

الجبس: الذى يبنى به وهو الجص، والجمع أجباس وجبوس[٢]، وهو مركب من كبريتات الكالسيوم والماء، وقد يوجد متبلوراً أو بشكل كور غير متبلورة[٣]. ولا يمكن استعمال الحبس إلا بعد عملية حرقه حتي يفقد ماء التبلور ويسهل سحقه فيصبح دقيقاً ناعماً أبيضاً، وبعد ذلك يوضع في الماء حتي يكتسب الصلابة، ويتم استخدامه في الارضيات أو على الجدران أو في تنفيذ زخارف على سطحه. واستخدام الجص في الزخرفة قديم قبل الاسلام[٤]، فوجد عند الفراعنة، والساسانيين، وفي حضارة بلاد الرافدين، ومن ثم فقد عرفه المسلمون[٥] منذ فترات مبكرة بسبب احتكاكهم بالحضارات الاخرى[٦].

1- A. Abufayed, The Old City of Ghadames, Transactions on the Built Environment, vol.66, 2003, p26-27 On www.witpress.com last visit 21-5-2016

٢- الزبيدي، محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني ابو الفيض(ت١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د ت، الجزء الخامس عشر، ص٤٩.

٣- عبد العزيز طريح شرف، المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، مركز الاسكندرية للكتاب، د ت، ص ٧٨.

٤- عن انتشار الجبس في الحضارات القديمة انظر: جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار الساقي، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١م، الجزء الخامس، ص ١٦٠، الجزء الثالث عشر، ص ٢١١، الجزء الخامس عشر، ص ٥١. وراجع أيضا: ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكى نجيب محمود وآخرون، دار الجيل ، بيروت، ١٩٨٨م، الجزء الثاني، ص ١٣٦.

٥- كان من مظاهر عظمة الحضارة الإسلامية واهتمامها بمختلف الأمور، أن جعلت من ضمن اختصاصات المحتسب أن يراقب طائفة المبيضين، وعملهم وجودة المواد الخام التي يستخدمونها، ومنها الجبس والجير. للاستزادة انظر: بن الأخوة، محمد بن محمد بن احمد بن ابي زيد القرشي(ت ٧٢٩هـ)، معالم القربة في طلب الحسبة، دار الفنون، كمبردج، ص ٢٣٦.

٦- بتة مرزوق، الزخرفة العمائرية في عمارة المغرب الأوسط خلال الفترة (٥-٨هـ/١١-١٤م)، ماجستير، غير منشورة، معهد الآثار، جامعة بن يوسف بن خلدة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص ٢٠٣.

واستخدم الغدامسيون الجبس المحلى، الذي كان يستخرج من أماكن قريبة من المدينة، سواء في أغراض البناء أو في عمل الزخارف، خاصة تلك المنفذة داخل المنازل، والتي تقوم بها النساء[١]، مستخدمة في ذلك أدوات بسيطة مصنوعة من المعدن. وما تجدر ملاحظته على الزخارف الجصية لمجموعة المنازل موضوع الدراسة، أن تقنية عملها بسيطة، اعتمدت على تنفيذها مباشرة على الجدران، بعد تحديد التصميمات المراد عملها، ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة حفر وحز هذه الزخارف، وكان يتم تحديد الزخارف من الخارج ببعض الألوان لتصبح أكثر وضوحاً، خاصة اللون الأحمر.

الجير: **مادة بيضاء تُحضر بتسخين الحجر الجيري في قمائن خاصة، وذلك بعد خروج بعض مكوناته، ويستعمل ملاطاً بعد اطفائه بالماء[٢]، كما يستخدم كمادة تخلط مع الرمل وغيره ليشكل مونة تستخدم في عملية البناء واللفظ معرب، وكان الجير من مواد البناء في بلاد الشمال الأفريقي، وورد ذكره في مصادر الفقه المالكي في تونس، وقد استخدم الفرسطائي مصطلح الجير في سياق أحكامه عن المنشآت المعمارية المختلفة، وميزه عن الجص[٣]. واستعمل أهل غدامس الجير في طلاء منازلهم من الخارج بغرض عكس أشعة الشمس بسبب طبيعة المنطقة شديدة الحرارة، كما استخدموه أيضاً في طلاء منازلهم من الداخل بغرض الزينة.**

الألوان: **يشكل الخط واللون أهم عناصر العمل الفني الإسلامي[٤]، كما أن للألوان آثار فسيولوجية ونفسية على الإنسان، هذا بالإضافة إلى قيمتها الجمالية[٥]،وللإحساس بالألوان شروط لا بد من تحققها، بعضها يعود**

١- هناك بيئات صحراوية أخرى تقوم فيها النساء بزخرفة المنازل، كما في مدينة Walata في موريتانيا، وتقريباً بنفس التقنية البسيطة التي اعتمدت عليها النساء في غدامس.

راجع:

Tohn A. Shoup, Traditional Wall Art in Walata, Anaquel de Estudios Arabes, 2011, vol.22, p 187.

كذلك كانت مهمة زخرفة المنزل في النوبة من نصيب النساء، ويمكن القول أن المرأة النوبية كان لها الفضل في الحفاظ على وجود كثير من عادات وتقاليد المجتمع النوبي، فعند مناسبة الزفاف مثلاً تقوم العروس مع صديقاتها بتقسيم أنفسهن إلى مجموعات، حيث تذهب مجموعة لإحضار المواد اللازمة، بينما تقوم المجموعة الأخرى بالرسم على الجدران، وهناك مجموعة أخرى من النساء الكبيرات تتولى الإشراف عليهن. عادل موسى، البيت النوبي زخارف وأشكال روحانية، على موقع:

www.kataba.org last visit 3-10-2015

٢- ابراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، الجزء الأول، ص١٥٠، الجزء الثاني، ص ٧٩٥

٣- محمد عبد الستار عثمان، المصطلحات العمرانية والمعمارية في مصادر فقه العمران الأباضي حتى نهاية القرن ٦هـ/١٢م، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، المجلد الثاني، ص ١١٩-١٢٠.

٤- داليا احمد فؤاد، الزخارف الإسلامية والاستفادة منها في تطبيقات زخرفية معاصرة، ماجستير، غير منشورة، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، ٢٠٠٠م، ص ٩٩.

5- Almansuri.A, Case Study Ghadames, www.irbnet.de/daten/iconda/cib14799.pdf. Last visit 26-5-2016

إلي عوامل داخلية في جسم الإنسان وتركيب أجهزة الإحساس فيه، وبعضها يعود إلى عوامل خارجية، منها مقدار الضوء الواصل إلى العين، وزاويته، ولونه[1].

ومن خلال مجموعة الزخارف التي تم التعرض لها من خلال الدراسة، نجد أنه قد استخدم فيها مجموعة متنوعة من الألوان، وعلى الرغم من عدم كثرتها، إلا أنها تمتعت بميزات خاصة، اكسبت هذه الزخارف شكلاً فريداً، انتشر في معظم منازل مدينة غدامس القديمة، وعليه فقد عدت الخطة اللونية التي اعتمد عليها أهل غدامس في زخارفهم، من اهم السمات الفنية التي امتازت بها المدينة. ويعتمد أهل غدامس على مجموعة من الصبغات الخاصة بتلك الألوان على شكل دقيق، تأتي من المدن الشمالية، وتذاب في مادة لاصقة مصنعة محلياً من الصمغ العربي الذي يضاف إليه صفار البيض، وتنفذ الزخارف بواسطة فرشاة تصنع من ريش الدجاج، أو الغراب، وأحياناً من شعر الحصان، أو وبر الجمل[2]، ومن أشهر هذه الألوان، الأحمر، والأبيض، والأخضر، والأصفر، والبرتقالي.

الأحمر: يمتاز اللون الأحمر بالقوة والقدرة على لفت النظر، وسيطرته على باقي الألوان، كما أنه من الألوان المعبرة عن الترف[3]،ويعتبر الزنجفر هو المادة الأكثر استخداماً في زخرفة المنازل الغدامسية. وزُنجُفر: بالضم صبغ، وهو أحمر يكتب[4] به ويصبغ، وهو معدنى ومصنوع[5]، وأجود أنواعه موجود في بلاد بلاد المغرب[6]، والاندلس[7].ويمكن تركيبه من الزئبق والكبريت، يجتمعان في قوارير ويوقد عليهما، فيصيران فيصيران زنجفراً[8]، أو عن طريق خلط معدن الزنجفر مع عصير الرمان، ثم مزج الخليط الناتج مع الصمغ العربي[9]، ليصبح بعدها جاهزاً للرسم به. ويعد اللون الأحمر هو المسيطر على معظم الزخارف داخل المنازل، المنازل، وذلك بدرجات لونية متقاربة، مع بعض الألوان الأخرى.

١- احمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص ٩١. وانظر أيضاً: باسم عباس على العبيدي، أثر العلاقات اللونية في الربط البنائي للهيئات والفضاءات في التصميم الاعلاني، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد الثامن والثلاثون، العدد الأول، ٢٠١١م، ص ص ١٨-٢٨.

٢- عزت على خيرى، غدامس جوهرة الصحراء، ص ١١٧.

٣- داليا احمد فؤاد، الزخارف الإسلامية، ص ١٠٣.

٤- كان الزنجفر يستخدم في مداد الكتابة، راجع: الصنهاجي، المعز بن باديس بن المنصور التميمي(ت ٤٥٤هـ)، عمدة الكتاب وعُدة ذوي الألباب، تحقيق نجيب مايل الهروي، مجمع البحوث الإسلامية، ايران، ١٤٠٩هـ، ص ٦٣،٥٤،٥٣،٤٩،٤٨، ٩١. وانظر أيضاً: الحسني، عبد الحي بن فخر الدين(ت١٣٤١هـ)، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دار بن حزم، بيروت، ١٩٩٩م، الجزء الرابع، ص ٣٥١.

٥- الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض(ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د ت، الجزء الحادي عشر، ص ٤٥٨. وانظر ابراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، الجزء الأول،٤٠٢.

٦- القلقشندي، احمد بن على بن احمد الفزاري(ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء الثاني، ص ٥٠٧.

٧- الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت(ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، الجزء الأول، ص ٤٩٢.

٨- الخوارزمي، محمد بن احمد بن يوسف أبو عبد الله الكاتب البلخي(ت٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص ٢٨١.

٩- لطف الله قاري، الحبر والمداد في كتب الصناعات الشاملة، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس والخمسين، جمادى الاولى ١٤٣٣هـ، مايو٢٠١١م، على موقع:

الأخضر: ورد ذكره في القرآن الكريم ثمان مرات، ويعبر عن الخصب والعطاء، وهو لباس أهل الجنة، كما له بعض المعاني و الدلالات في الفلسفة الصوفية[١]، ويُشتهر عن هذا اللون أنه ينشر الراحة والهدوء، ويستخدم بكثرة في رسم المناظر الطبيعية[٢]. وكان اللون الأخضر من أكثر الألوان التي اعتمد عليها أهل غدامس بعد اللون الأحمر، وظهر في زخارف عدد من المنازل، وكانت له الغلبة علي باقي الألوان في منزل داج مقورن، واشترك مع باقي الألوان في المنازل الأخرى، وقد ظهر هذا اللون في معظم الزخارف بدرجات لونية داكنة.

الأبيض: يعد اللون الأبيض من الألوان التي ارتبطت فى الفكر الإسلامي بمعان سامية، ومن ثم فقد استخدم رمزاً للصفاء وللنقاء، كما ورد في القرآن الكريم باعتبار أنه هو لون وجوه المؤمنين في الجنة[٣]، كما يعبر هذا اللون عن كل ما هو حسن وأصيل، بالإضافة إلى كونه يعبر عن الأرواح الطيبة[٤]. وكان لهذا اللون أهمية خاصة بين أهل غدامس، حيث قاموا بطلاء مبانيهم من الخارج والداخل أيضاً باللون الأبيض، لما هو معروف عن هذا اللون أنه يعكس أشعة الشمس، وذلك بسبب البيئة الصحراوية الحارة التي تقع فيها غدامس.

ونجد هذا اللون وقد ازدانت به الجدران الداخلية لمنازل غدامس، كما كان لون الزخارف الجصية، واستخدم كأرضية للزخارف الأخرى كما في منزل (١٣٢)، ويظهر كذلك في المساحات البينية فيما بين العناصر الزخرفية في منزل (٩٩)، أما منزل داج مقورن فقد اشترك مع اللون الأخضر في الزخرفة الشطرنجية في تناوب المربعات فيما بينهما.

الأصفر: أعطت كثير من الديانات للألوان قيمة خاصة، لها دلالات رمزية، ومنها ما ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصة، فالأصفر لون مقدس في الصين والهند[٥]،كما يمتاز اللون الأصفر بأنه من أكثر الألوان تضاداً في معانيه ورموزه ودلالته، بالإضافة إلى أنه يعبر عن البذخ والثراء لتشابهه مع لون الذهب[٦]. ولم يظهر اللون الأصفر مستخدماً إلا في منزل رقم (١٣٢)، وذلك في ضوء ما تبقى من زخارف المنازل موضوع الدراسة، فقد استخدم كأرضية للزخارف النباتية على أحد الأطباق الخزفية التي ازدان بها أحد اقبية المنزل، واشترك مع اللون الأحمر في الزخرفة الشطرنجية، والزخارف الأخرى الموجودة أعلى احد ابواب غرف المنزل، كذلك على الإطارات الخارجية للزخارف الجصية، وفي الزخرفة الرئيسية في وسط الدار.

---

www.albanna.ma/article.aspx last visit 30-5-2016.

١- احمد عبد الواحد ذنون طه، الألوان (مواقعها ومعانيها) في العمارة الإسلامية، مجلة هندسة الرافدين، العدد العشرون، ديسمبر ٢٠١٢م، ص ٣٥، ٣٨. عن الرمزية الدينية لهذا اللون انظر: عبد الناصر ياسين، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ٢٦٦-٢٦٨.

٢- داليا احمد فؤاد، الزخارف الإسلامية، ص ١٠٣.

٣- عبد الناصر ياسين، الرمزية الدينية، ص ٢٦٤.

٤- أودو كولترمان، أسرار الألوان، مجلة فكر وفن، العدد الرابع عشر، المانيا، ١٩٦٩م، ص ٢٧.

٥- احمد مختار عمر، اللغة واللون، ص ١٦٣.

٦- كولترمان (أودو)، أسرار الألوان، ص ٣٥.

البرتقالي: هو من الألوان الثانوية بالإضافة إلى الأخضر والبنفسجي، ويمكن الحصول عليه عن طريق مزج اللونين الأحمر والأصفر[١]. وبالنسبة للمنازل موضوع الدراسة، فقد كان اللون البرتقالي هو المستخدم في تحديد الأجزاء الخارجية لمعظم الزخارف الموجودة في وسط الدار بالمنزل رقم (٩٩)، أما في منزل رقم (١٣٢)، فنجده أيضاً في الزخرفة الرئيسية الموجودة وسط الدار، وذلك على الحواف الخارجية لبعض الزخارف، كما ملئت به بعض المساحات المفرغة بين هذه الزخارف، ومما يؤخذ في عين الاعتبار أن نسبة ليست بالقليلة من هذه الألوان تعرضت لبعض التلف نتيجة العامل الزمني، بالإضافة إلى سقوط الأمطار، وهجرة السكان لكثير من هذه المنازل.

الأشكال الهندسية

عني العرب بالعلوم الهندسية لما كان لأشكالها وتراكيبها من تداخلات رمزية وكونية وفلسفية، والتزم المعماريون المسلمون في تشييد العمائر بمبادئ الهندسة في مخططاتهم، وفي ارتفاع المنشآت المعمارية، لذا وضح فيها التوازن والانسجام، أما في الزخرفة فقد شغلت الأشكال الهندسية مساحات واسعة من العمائر[٢]. وقد استخدم أهل غدامس عديد من الأشكال الهندسية في زخرفة منازلهم، وذلك إما من الداخل أو من الخارج، مثل المثلث، والمربع، والمعين، والدائرة، وغيرها.

المثلث[٣]: سطح يحيط به ثلاثة خطوط مستقيمة، وشراب طبخ حتى ذهب ثُلُثاه[٤]، ويمثل المثلث أحد الرموز الشعبية العربية في شمال افريقيا، حيث يرمز احياناً إلى العين الواقية[٥]، وقد أكثر أهل غدامس من استخدام شكل المثلث في زخرفة منازلهم، إذ نجد في أعلى المنازل نتوءات مثلثة الشكل، يعتقد أنها من مخلفات عبادة الأوثان، وهذه منتشرة في العمارة الإفريقية، وهي مرتبطة في ذاكرة أهل غدامس بطرد الشياطين والأرواح الشريرة[٦]، كما وجدت داخل المنازل حليات جبسية مثلثة الشكل على الجدران فيما حول النوافذ والكوات الموجودة فى وسط الدار.

١- توجد بعض التقسيمات التي على أساسها تقسم الألوان في الطبيعة، حيث توجد الألوان الأساسية الثلاثة، وهي الأصفر والأحمر والأزرق، وهذه الألوان غير مخلقة أو ناتجة عن الألوان أخرى، أما الألوان الثانوية فهي البرتقالي والأخضر والبنفسجي، ويمكن الحصول عليها عن طريق مزج كل لونين من الألوان الأساسية. للمزيد راجع: محي الدين طالو، اللون علماً وعملاً، دار دمشق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص ١٦.

٢- ايفا ويلسون، الزخارف والرسوم الإسلامية، ترجمة آمال مريود، دار قابس، بيروت، ص ١٢.

٣- كان لقب المثلث أحد الألقاب التي اطلقت على نبي الله ادريس عليه السلام، لأنه نبي وملك وحكيم. للمزيد راجع: السيوطي، عبدالرحمن بن ابى بكر جلال الدين(ت٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٧م، الجزء الأول، ص ٦٠. كما وجدت بعض الأشعار التي جاء بها وصف للمثلث، يقول الشاعر ابن هندي: اقصيتني لما افتقرت ولم أكن ..... أرجو منك وقد علمت كمالي
هذا المثلث ذو ثلاثة أضلُع ..... لا غير، وهو مقدم الأشكال
انظر الأصبهاني، محمد بن صفى الدين بن نفيس الدين حامد عماد الدين الكاتب(ت ٥٩٧هـ)، خريدة القصر وجريدة العصر، الجزء الثاني، ص ٥٥٧. على موقع: www.shamela.ws .

٤- ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، الجزء الأول، ص ٩٩.

٥- حسيني على محمد، رموز الوشم الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣م، ص ٢٢٠.

٦- عزت على خيري، غدامس جوهرة الصحراء، ص ١١٤. وانظر: محمد رياض، كوثر عبد الرسول، افريقيا، مؤسسة هنداوي هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م، ص ٥٦٤،٥٦٠.

وظهرت أشكال المثلثات في منزل داج مقورن في زخارف اللوحات الجصية المثبتة على جدران وسط الدار، أما منزل رقم (٩٩) فوجدت به أشكال المثلثات بكثرة، في الزخرفة الرئيسية بقاعة وسط الدار، وفي الأجزاء الداخلية للنجمة الثمانية، وفي الإطار الخارجي المحيط بالعناصر الزخرفية. كما وجدت أشكال المثلثات بالمنزل رقم (١٣٢) في النهايات العليا للزخرفة الشطرنجية، وفي النتوءات الجبسية المثلثة، التي تحيط بالفتحات والكوات الموجودة في وسط الدار، كذلك في الأشرطة الزخرفية المفرغة المحيطة بالعناصر الزخرفية بالزخرفة الرئيسية بوسط الدار.

المربع: هو الذي تحيط به أربعة خطوط، والمربع خمسة أصناف، مربع متساوي الأضلاع، ومربع مستطيل، ومربع مختلف الأضلاع، ومربع معين، ومربع شبيه بالمعين[١]، ويعد المربع من الأشكال الهندسية التي تحمل في طياتها رموزاً، فهو يعبر عن الجهات الأصلية الأربع، وهو يرمز للكمال والثبات[٢]. واستخدم شكل المربع في زخارف المنازل الغدامسية، وكان الأكثر تمثيلاً في منزل داج مقورن، في اللوحات الجصية المثبتة على الجدران، وفي الزخرفة الشطرنجية الموجودة في صدر وسط الدار. أما في منزل رقم (٩٩)، فنجده في مركز النجمة الثمانية، وفي الإطار المحيط بالزخرفة الرئيسية في وسط الدار، كما يظهر في زخارف منزل رقم (١٣٢)، في الزخرفة الشطرنجية الموجودة أعلى أحد أبواب المنزل الداخلية، وفي الشكل الصليبي الموجود في زخارف وسط الدار، والإطار المحيط بهذه الزخرفة.

الدائرة: أختلف حول أصولها ما بين أنها عراقية، أو هندية، أو مصرية قديمة، حيث وجدت في التطبيقات الفنية في تلك الأماكن، ويعتقد أن استلهامها جاء من الشمس والبدر، بالإضافة إلى فكرة دوران الليل والنهار، والموت والبعث، كما ربط بعض منظري الفن والجمال بين الدائرة وفكرة الطواف حول الكعبة[٣]. واستخدم أهل غدامس شكل الدائرة في زخارف منازلهم، ففي منزل داج مقورن وجدت كأحد العناصر الزخرفية المفرغة في اللوحات الجصية المثبتة على جدران وسط الدار، كذلك في منزل رقم (٩٩)، نفذت في وسط المربع الموجود في مركز النجمة الثمانية، وحولها حيث حفرت بعض أشكال الورود على هيئة دائرة، بالإضافة إلى منزل رقم(١٣٢)، فقد ظهر شكل الدائرة في أطراف وداخل الزخرفة الرئيسية الموجود في صدر وسط الدار، أيضاً في زخارف اللوحات الجصية الموجودة أعلى هذه الزخرفة.

المعين: أحد الأشكال الهندسية التي انتشرت في زخارف منازل غدامس، وارتبط عندهم بمناسبات خاصة مثل الزواج، ففي أحد مراحل اعداد العروس تقوم إحدى قريبات العروس بمد يديها على رأس العروس في شكل معين، ثم تقوم خادمة العروس بصب الزيت على رأس العروس سبع مرات من إناء خشبي معين الشكل أيضاً، وهو نفس الشكل الذي يرسمه العريس بمعجون الحناء على الصخرة أو الجدران[٤]. ويظهر المعين فى منزل داج مقورن في الزخارف المفرغة داخل اللوحات الجصية المثبتة على الجدران، كذلك في منزل رقم (٩٩)، وجد محفوراً في بعض التفاصيل الداخلية لعدد من العناصر الزخرفية

١- الباطاليوسي، أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن السيد(ت ٥٢١هـ)،الأقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفى السقا، حامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م، الجزء الأول، ص ٨٣، ١٤٥.

٢- عبد الناصر ياسين، الرمزية الدينية، ص ١١١.

٣- علي ثويني، رمزية الأشكال وروحانياتها في العمارة والفنون، مجلة المدى الثقافي، العدد ٦٢٧، ٢٠٠٦م، ص ١١.

4- www.idrissaadi.yoo7.com last visit 24-9-2015

في الزخرفة الرئيسية في وسط الدار، وفي الإطار المحيط بها من أسفل. أما في منزل رقم (١٣٢)، فكان من ضمن الزخارف الموجودة في اللوحات الجصية المثبتة أعلى الزخرفة الرئيسية لقاعة وسط الدار.

النجمة الثمانية: شكل (٧)

شكل (٧)

تعد الأشكال النجمية في الزخرفة الإسلامية قمة ما ابتدعه الفنان المسلم في مجال الزخرفة الهندسية بوجه عام، وفي مجال الرقش الهندسي بوجه خاص، وقد قيل الكثير في أمر المعاني التي تحملها تلك الأشكال. وتعد النجمة الثمانية من أكثر هيئات النجوم تمثيلاً في الزخرفة الهندسية الإسلامية، وقد فُسر إقبال المسلمين على استخدام هذه النجمة في فنونهم تفسيراً باطناً[١]. كما أن لها دلالات ترتبط بالعظمة والعطاء، واستخدمت في الفنون الإسلامية منذ العصر الأموي[٢]. والنجمة الثمانية منتشرة بشكل كبير في زخارف بلاد المغرب[٣]، وفي ليبيا ظهرت رسوم النجوم بها منذ عهود قديمة، حيث ظهرت في لوحات الكهوف، وفي الوشم، وعلى العمائر، كما وجدت بكثرة في زخارف النسيج النفوسي[٤]. وظهرت النجمة الثمانية في المنزل رقم (٩٩)، وكانت بمثابة العنصر الأساسي للزخرفة، وحولها وزعت باقي العناصر الزخرفية.

الزخرفة الزجزاجية[٥]

تتكون من خطوط متكسرة بزوايا حادة سواء كان ذلك في الوضع الرأسي أو الأفقي، وتعرف كذلك باسم زخرفة المنشار، ويطلق عليها عند أهل الصنعة اسم زخرفة موج البحر، خاصة إذا نفذت في الوضع الأفقي، وظهرت أولى نماذجها في واجهة قصر المشتى وزخارف منبر جامع القيروان[٦]. وهذه الزخرفة منتشرة في النقوش الليبية منذ العصور الكلاسيكية في زخارف الثياب والوشم والزينة والزخارف المعمارية، وتسمى في ليبيا باسم طريق الأفعى[٧]. وقد استخدم أهل غدامس هذه الزخرفة في تزيين منازلهم، وظهرت الزخرفة الزجزاجية منفذة في منزل داج مقورن داخل اللوحات الجصية المثبتة على الجدران، وفي منزل رقم (٩٩) داخل الإطارات والأشرطة الزخرفية للزخرفة الرئيسية بقاعة وسط الدار، أيضاً في منزل رقم (١٣٢)

١- عبد الناصر ياسين، الرمزية الدينية، ص ١٠٤،١٠٦.

٢- معتز عناد غزوان، الدلالات الفكرية والرمزية للفن الإسلامي في التصميم، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٠١، ص ٥٢١،٥٢٣.

٣- حسيني على محمد، رموز الوشم الشعبي، ص ٢١٨. وللمزيد عن النجمة الثمانية راجع: ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ١٠٨.

٤- التراث الليبي على موقع: idrissaadi.yoo7.com last visit 24-9-2015

٥- وجدت الزخرفة الزجزاجية المصاحبة للزخارف الهندسية، بهيئة مشابهه لتلك الموجودة في مدينة غدامس القديمة، في العمران التقليدي بمصر، في بلدة القصر بالواحات المصرية، للمزيد راجع: سعد عبد الكريم شهاب، القصر قراءة مدينة من خلال النصوص التأسيسية، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥م، ص ١٤٦، ٢٤٤، ٢٥٢.

٦- منصور محمد عبد الرازق، الحمامات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية العصر العثماني، المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٣م، ص ٥٩٧.

7- www.idrissaadi.yoo7.com Last visit 24-9-2015

داخل الأشرطة الزخرفية للأشكال الصليبية، وفي الزخارف الجانبية للزخرفة الرئيسية الموجودة على أحد جدران قاعة وسط الدار.

الزخرفة الشطرنجية

يعتقد أن لعبة الشطرنج نشأت بالهند، وانتقلت عبر فارس في العصر الساساني إلى العالم الإسلامي، وكان العرب يصنعون قطع الشطرنج من مواد ثمينة، كالعاج، والبللور الصخري[١].وأسلوب الزخرفة بمربعات رقعة الشطرنج قديم يعود إلى القرن ٨ ق.م، في قطع الفسيفساء المكتشفة في تركيا[٢]، ووجدت هذه الزخرفة على عديد من التحف الإسلامية، ومنذ فترات مبكرة، مثل منبر جامع القيروان ٢٤٨هـ/٨٦٢م. وكانت الزخرفة الشطرنجية أحد الأساليب الزخرفية في منازل غدامس، إذ كانت بمثابة الزخرفة الرئيسية بمنزل داج مقورن، ومنازل أخري خارج إطار الدراسة، أو كانت تُنفذ مع زخارف أخرى، كما في منزل رقم (١٣٢).

زخارف متنوعة

العين: الاعتقاد بالحسد والعين الساحرة آمنت به معظم الشعوب منذ القدم وحتى الآن، لذلك نجد الناس تفننوا في ابتداع الوسائل الواقية من العين الشريرة٣. واتخذت العين عدة أشكال في الثقافات المختلفة، فأحيانا يرمز لها بالخطوط المنكسرة، وظهر ذلك في فنون الحضارة الفينيقية في شمال افريقيا، ونجدها على شكل مربع في التمائم والطلاسم المغربية، وبعض البلاد العربية٤، كذلك اخذت العين الواقية شكل المثلث كرمز لطرد الأرواح الشريرة٥. وكان الليبيون منذ أقدم العصور يستخدمون الحلي ليس بغرض الزينة، وإنما كتمائم وطلاسم للحماية من الحسد والعين الشريرة٦. وقد وجدت هذه الأشكال في زخارف المنازل موضوع الدراسة، ولكن يعد الشكل المثلث هو الرمز الأكثر اعتقاداً من جانب السكان بأنه يطرد الأرواح الشريرة، كما رُمز للعين بشكل نصف دائرة يتوسطها تجويف صغير، بمنزل رقم (٩٩)، ومنزل (١٣٢).

الطليب: أشكال (٨، ٩، ١٠)

من الأشكال التي استخدمت بكثرة في زخارف المنازل الغدامسية، وكان هذا الشكل كثير الاستخدام في وحدات الوشم، والتمائم المختلفة، خاصة على امتداد الساحل الافريقي، ولا يرجع أصل هذا الرمز إلى الفترة المسيحية، إذ أن انتشاره في تلك المنطقة كان قبل هذا العهد بكثير، حيث توجد بعض النقوش الفرعونية وعليها صور الليبيين وقد دقوا الوشم على أجسادهم في هيئة صلبان[٧]. ونفذ

1- www.discoverislamicart.org last visit 10-7-2016

٢- موسي ديب الخوري، الفسيفساء فن عريق ومتجدد، على موقع: www.maaber.org last visit 10-7-2016

٣- أكرم قانصوه، التصوير الشعبي العربي، عالم المعرفة، العدد ٢٠٣، الكويت، ١٩٩٥م، ص ١٠٥.

٤- حسيني على محمد، رموز الوشم الشعبي، ص ٢١٨، ٢١٢.

٥- رمضان أبو القاسم، الرمزية والعمارة، على موقع:

www.mirathlibya.blogspot.com last visit 23-6-2016 .

6- www.idrissaadi.yoo7.com Last visit 24-9-2015

٧- حسيني على محمد، رموز الوشم الشعبي، ص ٢١٥-٢١٦.

شكل الصليب بهيئات مختلفة، بعضها بصورة واضحة، والبعض الأخر غلب عليه الطابع الزخرفي، وهذا واضح في منزل رقم(٩٩)، ومنزل رقم(١٣٢).

شكل (٨)

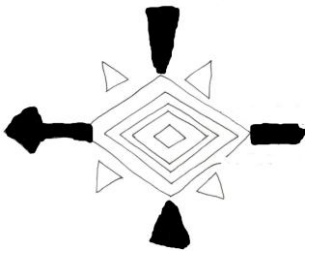

شكل (٩)

شكل (١٠)

السيف[١] شكل (١١)

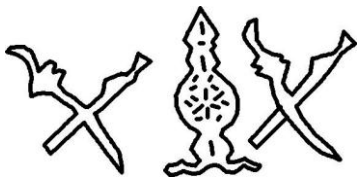

شكل (١١)

السيف الذي يُضرب به، معروف، والجمع أسياف، وسيوف، وأسيف[٢]. وقد أدى السيف دوراً رئيساً في الحروب؛ حيث كانت له الغلبة والسيادة على غيره من أسلحة الهجوم[٣]. وقد حفلت بعض الآيات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمصادر التاريخية بالإشارة إلى السيوف ومكانتها، والسيوف الإسلامية المعروفة تنقسم إلى نوعين رئيسين، سيوف مستقيمة النصل، وأخري مقوسة النصل، كما تختلف أطوالها فمنها الطويل، ومنها القصير[٤]. وقد ظهرت أشكال السيوف في زخارف منزل رقم (١٣٢)، على هيئة سيفين متقاطعين أحدهما مستقيم النصل، والأخر مقوس النصل، وقد راعى المُنفذ لهما وضوح أجزاء السيف، كالمقبض، والقبيعة، والنصل[٥]، وخلت السيوف المنفذة من أية زخارف[٦].

١- كان للسيف تقاليد كثيرة ارتبطت به مع الزمن، إذ أنه استخدم كرمز لإبعاد الأمراض الشيطانية عن بعض القبائل، وكان يقدم للعروس يوم زفافها في بعض الثقافات مقبض سيف كتهديد لها وإنذارها بعدم الوقوع في الخيانة. للمزيد انظر: أكرم قانصوه، التصوير الشعبي، ص ١٠٣. وعن رموزه انظر أيضاً: راشد بن فضل الدوسري، رموز الوسوم عند العرب، مجلة الواحة، العدد ٦٠، ٢٠١٠م، ص ١٨.

٢- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، ص ٧٧٤.

٣- حسين عبد الرحيم عليوه، الأسلحة الإسلامية بمتحف قصر المنيل بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص ٤.

٤- عبد الناصر ياسين، الأسلحة الهجومية في العصر الإسلامي بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر، مجلة كلية الآداب بسوهاج، جامعة جنوب الوادي، العدد الرابع والعشرين، الجزء الثاني، إصدار خاص، أكتوبر، ٢٠٠١م، ص ٢٩،٣١.

٥- للاستزادة عن أجزاء السيف المختلفة راجع: عبد الناصر ياسين، الأسلحة الهجومية، ص ٣٠.

٦- زخرف العرب سيوفهم منذ الجاهلية، ونقشوا على نصالها بعض الرموز والطلاسم، وفي العصر الإسلامي زخرفت السيوف بالآيات القرآنية ، وأبيات الشعر، واسماء الخلفاء والصناع، وقد نفذت الزخارف بطرق متعددة. للمزيد راجع: معرض الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الأسلحة الإسلامية (السيوف والدروع)، الرياض، ٢٠٠٢م، ص ٢٣.

الابريق شكل (١٢)

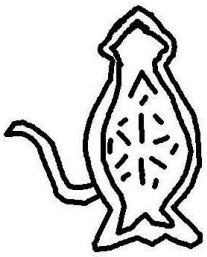

شكل (١٢)

الابريق وعاء له أذن وخرطوم ينصب منه السائل، وهو إما من خزف، أو زجاج، أو معدن، ونحوه، والجمع أباريق[١]. والابريق هو رمز للطهارة والوضوء ويبعد الشر والحسد، وكثيراً ما يرسم على واجهات المنازل[٢]، ووجدت رسوم الأباريق على عدد من التحف الفنية الإسلامية في العصور المختلفة، ونفذ أهل غدامس رسومها في زخارف منازلهم، إذ نجدها في الزخرفة الرئيسية الموجودة بقاعة وسط الدار في المنزل رقم (١٣٢)، متخذاً هيئة نمطية تقريباً، من قاعدة وبدن ورقبة وفتحة صنبور لصب السائل الموجود فيه.

الأعلام: شكل (١٣)

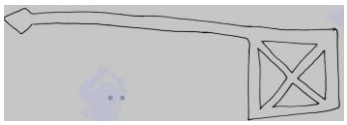

شكل (١٣)

عرف المسلمين استخدام الأعلام منذ عهد الرسول(صلى الله عليه وسلم)، واستمر استخدامها طوال العصر الإسلامي، وقد امتازت بتعدد أشكالها وخصائصها[٣]. ونفذت رسوم الأعلام في زخارف منازل غدامس، في منزل رقم (٩٩). وكانت ذات هيئة واحدة، تتمثل في قائم ينتهي بمساحة مربعة، تزدان برسوم الأشكال الهندسية.

العناصر الزخرفية العثمانية

وجدت على أحد الأطباق الخزفية مجموعة من الزخارف النباتية[٤] التي اختص بها الفن العثماني، وكانت أحد اهم السمات الخاصة والمميزة له بين الفنون الأخرى، ومن هذه الزخارف زهرة اللاله، والرمان، وأوراق وأفرع نباتية امتلأت بها قاع الطبق، وذلك بألوان الأخضر الزيتوني، والأزرق، والأحمر بدرجات لونية مختلفة، بالإضافة إلى زخارف حافة الطبق، المتمثلة في شكل القواقع وقشور السمك، والزخرفة التي تشبه حرف (S) والتي نفذت باللون الأسود على أرضية بيضاء، وتلك مجتمعة من مميزات الخزف العثماني.

1- www.almanny.com/ar/dict/ar-ar last visit 5-7-2016

٢- حميدة الطيلوش، الرموز الشعبية ومدلولها في الذاكرة الجماعية العربية، على موقع:

www.myportail.com last visit 1-7-2016

٣- عبد الناصر ياسين، الأعلام في العصر الإسلامي، أنواعها، صفاتها، وخصائصها، مجلة العصور، المجلد الثالث عشر، لندن، يناير٢٠٠٣م، ص ٣٧. وعن الأعلام انظر أيضاً: منى محمد بدر، الأعلام الإسلامية منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية القرن ١٢هـ/١٨م، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، العدد السادس، الجزء الأول، ١٩٩٦م.

٤ عن الزخارف النباتية في العصر العثماني راجع: عاطف على عبد الرحيم، تصاوير المخطوطات العثمانية في الفترة المبكرة(٨٥٥-٩٢٦هـ/١٤٥١-١٥٢٠م)، ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، غير منشورة، ٢٠٠٤م، ص ص ٢٧٨-٢٨١.

وعلى ما سبق يمكن القول أن هذا الطبق يرجع للعصر العثماني، خاصة خزف مدينة ازنيق- احد أشهر المدن العثمانية في صناعة الخزف- وذلك في فترة القرن ١١هـ/١٧م لوحات(٣٦-٣٧)[١]. ومما يبرر هذا القول أن مدينة غدامس علاوة على أنها مدينة تجارية، وأنها تمر من خلالها قوافل التجارة القادمة من الشمال إلى بلاد افريقيا والعكس، فقد خضعت غدامس للحكم العثماني في تونس منذ القرن ١٠هـ/١٦م، ثم خضعت للحكم العثماني في ليبيا منذ القرن ١٢هـ/١٨م.

لوحة (٣٦) ازنيق ١٠هـ -١٦م لوحة (٣٧) ازنيق ١١هـ -١٧م

نبات القورا

من فصيلة اليقطين ولها في التراث الغدامسي مكانة متميزة لوحة(٣٨)، فبالإضافة إلى أنها مفضلة لديهم كأحد الأكلات، فإنها تستعمل كذلك بعد أن تجف وهي متصلة بنبتتها، حيث أنه إذا قطفت قبل أن تجف فسدت، ويتم استعمالها بعد إحداث فتحة في أعلاها وينظف ما بداخلها من بذور، ثم تستخدم كجرة لتبريد المياه، وهي لا تحتاج إلى تغليف كالجرات الفخارية. أيضاً لها وظيفة أخرى فهي تأخذ مكاناً في الرف الذي يعلو مدخل(التمانحت)، أو وسط الدار عوضاً عن القلال المزخرفة[٢]. وقد ظهرت الزخرفة التي تشبه نبات القورا في منزل رقم (٩٩).

لوحة (٣٨)

١- للمزيد عن الخزف العثماني، وزخارفه، ومدينة أزنيق، راجع: ربيع حامد خليفه، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ص ٧١-٨٤. ولوحات رقم ٣١ب، ص٣٨٤، ورقم ٤٣، ص ٣٩١.

٢- جمعية تمانحت للتراث الغدامسي، على موقع: https://ar-ar.facebook.com last visit 24-9-2015

الخلاصة وأهم النتائج

- غدامس مدينة عريقة دخلها الإسلام منذ القرن الأول الهجري، لها موقع استراتيجي متميز، يشتهر أهلها بالتجارة
- لازالت مدينة غدامس القديمة تحتفظ بتخطيطها المعماري القديم، ومعظم منازلها تعود إلى العصر العثماني، ويدعم هذا الرأي وجود أطباق خزفية عثمانية من نفس الفترة تقريباً، في أحد المنازل موضوع الدراسة، استخدمت في تزيين المنازل من الداخل.
- أمكن من خلال الدراسة وضع عدد من السمات والخصائص الفنية التي امتاز بها الأسلوب الفني الغدامسي في عمل زخارف المنازل، منها:
- تبين من خلال الدراسة أن التكوينات الزخرفية التي وجدت في منازل غدامس متميزة، وذات طبيعة خاصة، حيث أنها لم تُرى في أماكن أخري مشابهة، مما أكسبها صفة الخصوصية.
- اعتمد أهل غدامس على مجموعة من المواد الخام المحلية في تنفيذ زخارف منازلهم، ووضح من خلال الدراسة أن مادة الجص كانت هي المادة الخام الأساسية التي نفذت عليها معظم الزخارف داخل المنازل، والقليل منها نفذ على الجدران مباشرة.
- تبين من الدراسة أن هناك مجموعة من الأساليب الزخرفية المتنوعة التي استخدمها أهل غدامس في تزيين منازلهم، منها الأسلوب القائم الزخرفة الشطرنجية وحولها باقي الزخارف، ومنها الأسلوب المُعتمد على الزخارف الهندسية المتنوعة والمتكررة، وهناك أسلوب أخر يضم مجموعة متنوعة من العناصر الزخرفية، كالسيوف والاباريق ووسائل الإضاءة، وغيرها مع عنصر أساسي متكرر هو الشكل الصليبي.
- ابتكر أهل غدامس عدة وسائل جمالية متميزة في تزيين منازلهم من الداخل، منها أنهم استعانوا بالأطباق الخزفية ذات الزخارف الجميلة والمتعددة الألوان في تزيين أقبية وعقود المنازل. وكذلك فكرة النتوءات البارزة على الجدران في هيئة أشكال هندسية متنوعة، والتي عدت كأحد السمات المميزة للمنزل الغدامسي من الداخل.
- تشابه الطريقة التي نفذت بها معظم الزخارف، من حيث الاعتماد على اسلوب حفر الزخارف على الجص، وإن تباينت مستويات الحفر ما بين الغائر والعميق، بالإضافة للزخارف المفرغة.
- تبين من خلال الدراسة أن التقنية التي اعتمد عليها أهل غدامس في تنفيذ الزخارف كانت بسيطة، من أدوات بدائية من المعدن، متنوعة الرؤوس ما بين الكبير والصغير والمتوسط، بحسب حجم العنصر الزخرفي، ومستوي الحفر، وشكل التفاصيل الزخرفية المتنوعة المصاحبة لهذه العناصر.
- وضح من خلال الدراسة أن ثمة تقليد متوارث متبع بين أبناء المدينة في تحديد الأماكن المخصصة للزخارف، فهي متقاربة بنسبة كبيرة، خاصة تلك الموجودة بقاعة وسط الدار، علاوة على ذلك موقع الزخارف على الجدار، ومقدار ارتفاعها عن سطح أرضية الغرفة، كذلك مساحة الزخارف طولاً وعرضاً.
- تنوعت الزخارف التي نفذت في منازل غدامس، حيث ظهرت الزخارف الهندسية، والنباتية، بالإضافة إلى بعض الرموز والعلامات المختلفة، وغابت رسوم الكائنات الحية، سواء الأدمية أو الحيوانية، كما لم

تظهر أية كتابات مصاحبة لهذه الزخارف، وكانت الغلبة في التمثيل للتكوينات الهندسية التي أبدع فيها مُنفذيها، والتي تعد من أهم خصائص الأسلوب الفني الغدامسي.

- ارتبطت بعض الزخارف الممثلة داخل المنازل بالتراث والثقافة الغدامسية، مثل زخرفة طريق الأفعى، ونبات القورا، وزخرفة النجوم. كذلك استخدام عديد من الرموز العلامات المرتبطة بثقافات قديمة مثل شكل الصليب.
- يلاحظ من خلال الدراسة حب أهل غدامس للأثراء الزخرفي في منازلهم بصفة عامة، يتضح ذلك من أن المساحات المخصصة للزخرفة جاءت ممتلئة بالعناصر الزخرفية، بالإضافة إلى أنهم كانوا يعلقون على الجدران الأطباق النحاسية ذات البريق مع بعض المرايا التي تعكس الضوء الساقط عليها، مما يحدث شكلاً زخرفياً جميلاً، خاصة في قاعة وسط الدار.
- تبين من خلال الدراسة أن التنوع والثراء الزخرفي الفريد في تكويناته إنما قصد في بعض أشكاله بعض المعاني الرمزية، والتي كانت موجودة في التراث الغدامسي، نتيجة موروثات من ثقافات قديمة في المنطقة، وهو ما تدلل عليه تمثيل عدد من الرموز والعلامات غير المعتادة في الزخارف الإسلامية، كذلك الإكثار من الزخارف الهندسية المعروفة ببعدها الرمزي.
- أظهرت الدراسة بالنسبة للألوان المستخدمة في زخارف المنازل، أن هناك مجموعة من الألوان تم الاعتماد عليها، كالأحمر والأبيض والأخضر البرتقالي والأصفر، غير أن الأحمر كان هو صاحب الغلبة في الاستخدام، ومما يضاف إلى مهارة أهل غدامس الذين نفذوا هذه الزخارف أنهم كانوا يقومون بتركيب ألوانهم بأنفسهم.